الفصل الرابع

اختيار محتوى المنهج في عصر المعلوماتية.. مشكلة صعبة

- تمهيد.
- مجتمع المعرفة
- ماذا نعلم؟
- تحديد محتوى المنهج.
- اعتبارات مهمة .
- خاتمة.
- المراجع.

تمهيد:

تعانى غالبية الدول، وخاصة الدول النامية، من مشكلات خطيرة تؤثر سلباً على مسيرة تقدمها، مثل: ارتفاع نسبة الأمية، وتزايد الفقر المدقع، «وعدم كفاية موارد بعض المجتمعات وإهدار موارد بعضها الآخر، وارتفاع نسب البطالة وجيوش الفقراء، وتآكل الطبقة الوسطى، والعجز عن تلبية الحاجات الأساسية لبعض فئات المجتمع، والمشاركة المحدودة للمرأة فى عملية التنمية الوطنية، وتزايد الضغط على الخدمات الاجتماعية من صحية وتعليمية وسكنية، وتراجع نوعياتها ومستوياتها، وشح المياه، وازدياد نسبة التصحُّر، وتفاقم الديون العامة، واختناقات المدن، وانعدام المجتمع المدنى أو ضموره، والتكاثر السكانى غير المبرَّر، وتراجع أداء الطبقة المثقفة، وازدياد نفوذ أصحاب الأموال والمنافقين والانتهازيين والمتسلقين!!»[1].

وبنظرة فاحصة مدققة للمشكلات الجسيمة آنفة الذكر، نجد أن مردها يعود - بدرجة كبيرة - إلى تدنى مستوى التعليم، إذ من خلال الدور المهم الذى يقوم به التعليم، يمكن إعداد الكوادر ذات الكفاءة العالية فى الأداء، كذا الأفراد ذوى العقول القوية القادرة على التفكير.

وبمعنى آخر؛ كلما ارتفعت جودة التعليم، تحققت القدرة العالية للمتعلمين، وبذا يمكنهم تقديم إسهاماتهم النافعة فى حل أية مشكلة، تمثل ظاهرة فى المجتمع، كما يسهمون فى وضع الخطط المناسبة من أجل تحقيق مستقبل أفضل.

إذاً، يمثل التعليم المتميز، أساس التقدم المدنى والحضارى للمجتمع، إذ عن طريقه يمكن دراسة مشكلات الحاضر، ووضع الحلول المناسبة لها. أيضاً، عن طريق التعليم، يمكن تحديد المشكلات المستقبلية المتوقعة.

والسؤال: كيف يمكن تحقيق التعليم المتميز؟

إن ألف باء الإجابة عن السؤال السابق، أن تكون مناهج التعليم مناسبة لعصر المعلوماتية، الذى يشهد تدفقاً غزيراً للمعلومات والمعرفة، عبر إنترنت (Internet).

وهنا، تكمن المشكلة الحقيقية، إذ بات من الصعب بمكانة ، تحديد محتوى المنهج، فى ضوء الكم المعرفى الهائل المتوفر أمام مصممى المنهج. لقد باتت عملية الاختيار صعبة جداً، فجميع المعلومات -بلا استثناء- مهمة وحيوية ومتجددة.

ومن ناحية أخرى، فإن اختيار محتوى المنهج وفقاً لمعايير بعينها، يأخذها مصممو المنهج فى حساباتهم، قد لا تناسب عقلية بعض التلاميذ، ممن يتعاملون مع شبكة إنترنت، إذ يشعرون بتخلف هذا المحتوى، وعدم حداثة محتوياته. وقد يرى بعض أفراد هذه النوعية، إنهم يتعاملون -من خلال هذا المحتوى- مع موضوعات لم تعد مناسبة للعصر، وأنهم يعرفون من المعلومات ما يفوق كماً ونوعاً، الموضوعات التى ينبغى دراستها فى المنهج المقرر.

وفى هذا الصدد، يقول (أحمد شوقى): «ووصل تسارع المعرفة فى بعض مجالات العلم إلى درجة من الشدة تفوق قدرة أكثر المتخصصين على المتابعة المتأنية، وصاحب ذلك تضاؤل متزايد للفاصل الزمنى بين الكشوف العلمية وتطبيقاتها التقنية... ويمثل ذلك عبئاً ثقيلاً على العملية التعليمية، حيث يتطلب التجديد المستمر للمناهج وطرق التدريس والإمكانيات العلمية من ناحية، وكذلك للبرامج التربوية التى تستهدف تخريج أجيال قادرة على التكيف والعطاء فى هذا العالم المتغير من ناحية أخرى»(٢).

مجتمع المعرفة:

يعيش الإنسان حالياً عصر التزاوج بين العلم والتكنولوجيا، حيث أصبح من الصعب بمكانة، فصل النظرية عن تطبيقاتها. وإذا نظر الإنسان من حوله، يجد العجب العجاب، إذ العديد مما كان يوماً ما مجرد حُلم، بات حقيقة ملموسة، حيث يقاس الزمن بالفيمتو ثانية، ويتم الانتقال من مركبة لأخرى فى الفضاء، وتتحكم الهندسة الوراثية فى أى الجينات يعمل وأيها يتم تنحيته جانباً.

وعليه، يطلع علينا العلم والتكنولوجيا فى كل صباح، بتطورات هائلة، لا تؤثر فقط على الواقع الحياتى للإنسان، بل تتحكم فى ذلك الواقع، بحيث ترسم للإنسان الخطوات التى يجب أن يخطوها. ورغم أن ذلك يحد كثيراً من حرية الإنسان، فإنه مضطر للاستجابة لتوجهات العلم والتكنولوجيا، حتى لا تتدمر حياته.

«لقد أصبح الجنس البشرى، كما يقول (**ميشيل سيجل**)، فى وضع لا يحسد عليه، وإذا كان له أن يبقى فلابد أن يكون للعلم والتكنولوجيا إسهامهما الواضح»[٣].

أيضاً أسهمت ثورة المعلومات، كذا الثورة التكنولوجية فى تحقيق التنمية الاقتصادية، من خلال الشركات متعددة الجنسيات، وبذا ضعف -أو قل انتهى بتحفظ- دور الدولة فى التنمية الاقتصادية. ففى النظام العالمى الجديد، وفى عصر العولمة، حيث يقوم مجتمع المعرفة على الثورتين آنفتى الذكر، «وضعت لنا الشركات متعددة الجنسيات جدول الأعمال، الذى يحدد للاقتصاديين والكتاب فى موضوع التنمية ما يجوز لهم مناقشته، وما لا يجوز»[٤].

ومن ناحية أخرى، خلقت ثورة المعلومات، منذ زمن ليس ببعيد، «أواصر كونية بحجم لم يعهد من قبل فى التاريخ الإنسانى، محطمة المصالح الصغيرة والمحلية، وخالقة ثقافة كونية. وكما جعلت آلة الطباعة التى اخترعها **جوتنبرج** الناس مدركين لعوالم أبعد من قراهم ومزارعهم، فإن ثورة المعلومات تبنى وتصهر ثقافة كونية واحدة من آلاف الثقافات الأخرى»[٥]، وذلك يعنى أن العلم والتكنولوجيا سيقودان العالم إلى حضارة كوكبية، سوف تشل حركة الدول النامية، إذا حاولت أن تعمل بمعزل عن القوانين والشروط، التى تحددها الدول المهيمنة على النظام العالمى الجديد. ومن الممكن جداً، أن تتجاوز سيطرة الحضارة الكوكبية، التى سوف تنشأ فى كنف العلم والتكنولوجيا، حدود الدول النامية فقط، وتسيطر على جميع قوى كوكبنا، بلا استثناء.

إن أبلغ تعبير عن خطورة ظهور حضارة كوكبية، نتيجة لثورة المعلومات التى يعيشها العالم الآن، هو:

«إن التنين الإلكترونى ذا الألف مخلب الذى تقوم عليه الرأسمالية الكوكبية قد تحول إلى وحش كاسر... ومن يرضى بشروط التنين وإدارته، فإنه يحصل على صكوك الغفران، ويُعطى شهادات صلاحية تمهد لمزيد من الاستثمارات الأجنبية والوجود العولمي»[٦].

إن الحديث السابق، يبرز صعوبة تحديد محتوى المنهج التربوى، وذلك سبق

تأكيده فى التمهيد، لذا فإن الأمر يتطلب تفعيل آليات الفكر الخلاق، غير النمطى، الذى يستطيع فهم وإدراك ديناميات الفعل وإمكاناته فى المجتمع، وبذا يمكن تحديد الموضوعات الدراسية التى توافق وتواكب آنياً ديناميات الفعل، دون إهمال أو تجاهل تأثيرات القوى العالمية المهيمنة تربوياً.

ماذا نعلم؟

تمثل القوى البشرية الثروة الحقيقية لأى مجتمع، إذ تعمل هذه القوى من أجل رفع ونماء إنتاجية المجتمع، فى شتى المجالات، وذلك يسهم إيجاباً فى تقدم وتطور المجتمع. لهذا تحرص الدول وتهتم بالإنسان، فتعمل جاهدة على تأهيله، من خلال خطط التعليم المناسبة.

وبعامة، يتوقف استثمار قدرات الإنسان أفضل استثمار للقيام بعمل منتج، على نوعية التعليم والتدريب، اللذين يقدمان له. بقدر تميز التعليم والتدريب، يتكون الإنسان ذو الكفاءة العالية.

ولكن، تظهر المشكلة واضحة جلية فى كيفية اختيار مناهج التعليم ، وسط هذا الزخم الهائل من المعرفة، بحيث بات من الصعب جداً متابعة التدفق المعلوماتى، الذى يظهر يومياً. لذا، من المهم أن نتساءل عن ما يجب تعليمه للتلاميذ، وخاصة «إن التطورات الحديثة فى أساليب الإنتاج، أصبحت تفرض اليوم على جميع البلدان إعادة تخطيط التعليم، وتصميم التعليم، وتخطيط المناهج، وأنواع التعليم، وربط الخطط الاقتصادية والاجتماعية بالخطط التربوية»(٧).

إن مشكلة: ماذا نعلم؟ قديمة، حيث تناولها (فينكس) بالدراسة، منذ أكثر من أربعين سنة مضت، وقدم تبريراً لأهمية أخذ بعض الأبعاد فى الاعتبار عند تحديد محتوى المنهج، وذلك عندما ذكر: «ومشكلة المنهج هى أن تقتصد هذه الإمكانية النادرة للتعليم عند الإنسان، وذلك باختيار المحتوى المناسب الحكيم الذى يجب أن يتعلمه الفرد، فالذكاء الإنسانى من الندرة وعلو القيمة بحيث لا نستطيع أن نبدده فى برنامج للتعليم يعتمد على المصادفة»(٨).

أيضاً فى هذا الصدد يقول (لويس عوض) الآتى:

«وليس الأمر مقصوراً على امتداد مرحلة التعليم العام إلى سن الرشد (١٨ سنة)، فلا يقل أهمية عن ذلك نوع الغذاء العقلى والنفسى الذى ننشئ عليه أبناءنا، ليس هاماً فقط: كم سنة نعلمهم؟ ولكن لا يقل أهمية عن ذلك: ماذا نعلمهم؟ فلربما نعلم أبناءنا سنوات مديدة ومع ذلك لا يبلغون بعلمهم أبداً سن الرشد، لأننا نحشو أدمغتهم السنة بعد السنة بالخزعبلات والأوهام الفكرية والتاريخية والعلمية والفنية أيضاً، ولأننا نشوه نفوسهم بكل مظلم أو مزيف أو جامد من القيم المعادية للحضارة والتقدم، الهادمة للحرية وحقوق الإنسان، الناسفة لكل شعور بالأخوة فى الوطن وفى الإنسانية»(٩).

ويجدر الإشارة إلى أن بعض البحوث والدراسات قدمت تلميحات سريعة لمحتوى المنهج، إلا أنها لا ترقى إلى مستوى الإجابة الشافية الكافية عن السؤال السابق، لأن تلك البحوث والدراسات لم يكن هدفها الرئيس دراسة محتوى المنهج.

فعلى سبيل المثال، أشار (عبدالله محمد إبراهيم) عند حديثه عن الفجوة بين مضمون العلم وتدريسه إلى أن «المضمون العلمى والطريقة التى يقدم بها هما وجهى العملة للمنهج الواحد -فإن معظم البحوث التى تمت فى ذلك المجال تهتم فى نظرى - بوجه واحد هو الطريقة ومشكلاتها. وقد تناول المضمون فى عجلة أو على استحياء... فبالعلم يحيا الإنسان فى هذا العصر منذ ولادته إلى مماته، وذلك يلقى على القائمين بالبحوث فى التربية العلمية بمسئولية أخرى، هى تحديد مدى احتياجات الأعمار من التلاميذ لجرعات مناسبة من العلم»(١٠).

أيضاً، أشار (شولمان) إلى أنه «يجرى إعداد المواد والبنى الخاصة بعملية التعليم والتعلم من أجل تحقيق أهداف التعليم المدرسى المنظم»(١١)، وتشمل هذه المواد والبنى ضمن المناهج ومجالاتها وترتيباتها.

كذلك، جاء فى تقرير (أمة معرضة للخطر) أن «المدارس تؤكد مبادئ كالقراءة والكتابة ومهارات العد على حساب مهارات أخرى أساسية كالفهم، والتحليل، وحل المشكلات، والتوصل إلى استنتاجات»(١٢).

إذًا، فمشكلة تحديد محتوى المنهج مازالت قائمة، وينبغى التصدى لها لإيجاد الحلول المناسبة، على أن يتم ذلك فى أسرع وقت ممكن.

والسؤال: لماذا يجب الاهتمام بحل هذه المشكلة؟

إن أى مشكلة ينبغى التعجيل فى حلها حتى لا تتفاقم وتصل إلى طريق مسدود، فما بالنا إذا كانت المشكلة تخص المناهج التربوية فى عصر يشهد ولادة فيض غزير من المعلومات يومياً. وعليه، فإن أى تقاعس فى حل المشكلة يعنى أنه ينبغى علينا أن نبدأ من جديد.

وفى هذا الصدد يقول (هنرى ج. بيركنسون): «وأزمات التعليم تتفاقم حدتها، نجد أنه من الضرورى مراجعة المفهومات والأفكار التربوية، التى كانت ومازالت سائدة بيننا، وكثيراً ما تجاهلنا حتى مجرد أن نسأل أنفسنا أسئلة، مثل: ما نوع تعاملنا معها؟، وما دور المعلم، والطالب، والمناهج، والمواد التعليمية فى هذا التعامل؟»(١٣).

إن (بيركنسون) يوجه أنظارنا إلى وجود أزمات فى التعليم، تتطلب النظر بعين الاعتبار إليها، من أجل حلها، حيث تمثل المناهج إحدى هذه الأزمات الحادة.

أما (أحمد فتحى سرور) فينظر إلى القضية من منظور سياسي، لذا فعندما وجه إليه السؤال: «ولكن قضية تطوير التعليم قديمة وهناك مئات الدراسات والتقارير العلمية، فهل نبدأ من جديد؟، أجاب: ... ولكنى أقول إن التعليم قضية قومية، ولا ننكر أهمية تقارير الخبراء التى تعد على المستوى التنفيذى، ولكنى أرى ضرورة أن يشارك أبناء مصر جميعاً فى عملية التطوير»(١٤).

تحديد محتوى المنهج:

يتحدث (فينكس) عن طبيعة المنهج، فيقول(١٥):

«المنهج مجرد اسم لنمط منظم من برنامج تربوى مدرسى، والوصف الكامل للمنهج له ثلاثة مكونات على الأقل:

١- ما يدرس - أى «المحتوى» أو «المادة الدراسية» للتعلم.

٢- كيف تجرى الدراسة والتدريس -أى طريقة التعليم.

٣- متى تقدم هذه المواد المختلفة -أى نظام التعليم.

والمدرسة كمؤسسة تربوية، يجب أن يكون لها منهج. وبافتراض أن الذهاب إلى

المدرسة ميسور فى المجتمع (وذلك ما يتحقق بالفعل فى مجتمعنا، إذ إن التعليم إلزامى فى التعليم الأساسى، وبالمجان فى جميع المراحل التعليمية)، فذلك يجعل مشكلة المنهج، مشكلة اختيار دقيق للعدد القليل من المواد، التى يجب تعلمها من بين المواد العديدة القيمة.

إن ما تقدم يشير إلى أهمية وجود «مقياس لمعرفة المواد الأكثر أهمية من غيرها، والمواد التى يمكن أن يضحى بها -حيث إن السيطرة على كل شىء مستحيلة- والمواد التى تتضح ضرورتها المطلقة. ونحتاج فى هذا إلى معايير تحدد الحد الأقصى من الوقت المتاح للمدرسة، والذى يجب أن يخصص للدراسات المختلفة التى اخترناها.

ومثل هذه المستويات تفترض مقياساً للقيم، إذ إن المشكلة المركزية فى التربية كلها هى مشكلة القيم. فعلى المربى أن يختار الاتجاه الذى يعتقد أنه أفضل اتجاه، ويمكن أن يتخذه نمو التلميذ».

وتتمثل أهم الأبعاد التى يجب أن ندخلها فى اعتبارنا عند تحديد محتوى برنامج الدراسة، فى الآتي:

(أ) الطبيعة الإنسانية الأساسية.

(ب) مطالب المجتمع الواقعى.

(جـ) الحاجات الاجتماعية المثلى.

(د) مطالب الفرد الواقعى.

(هـ) حاجات الفرد المثالى.

(و) مطالب التراث الثقافى.

وينبغى التنويه قبل مناقشة العوامل السابقة إلى أن كل واضع لبرنامج المدرسة، عليه أن يكيف البرنامج إلى حد ما وفق حاجات المجتمع وحاجات الفرد، ولا يهمل كلية إغراء المثل الأعلى، ولا تكامل التراث الثقافى، ولا مواكبة متطلبات مجتمع المعرفة. وفيما يلى توضيح لكل عامل من العوامل السابقة:

(أ) الطبيعة الإنسانية الأساسية:

ويتضمن هذا العامل العوامل الفرعية التالية:

١- المهارات الجسمية الأولية:

نقدم للطفل بيئة آمنة، ومع ذلك تتحدى تفكيره وذكاءه تحدياً مناسباً، مع أفراد كبار يمثلون أمامه ما يجب عليه أن يتعلمه.

٢- المهارات الاجتماعية الأساسية:

* يتعلم الطفل منذ وقت مبكر أن للأفراد الآخرين مشاعر ومطالب كما أن له مشاعر ومطالب.
* يتعلم الطفل كيف يتحكم فى سلوكه.
* تهيئة الفرصة أمام الطفل للنشاط الاجتماعى المخطط.
* تدريب الطفل على الآداب وعلى الذوق.
* تعليم الطفل بعض الأنظمة الجادة التى تمكنه من شق طريقه عن صواب.

٣- استخدام الرموز:

* إكساب الطفل القدرة على استخدام الأفكار والمفاهيم التى تتضمن إحساساً بالمعنى.
* تدريب الطفل على استخدام الرموز التى تعبر عن المعانى، وتنقلها بالاتصال الفكرى.
* تعريف الطفل أن الرياضيات كتعبير، قد تكون أقوى وأكمل للعقل الإنسانى من اللغة فى بعض الأحيان.
* تساعد القراءة والكتابة والحساب الطفل على تحقيق أساسه العقلى.

٤- النشاط البناء:

* الإنسان مفكراً ومتحدثاً.
* يصنع الإنسان أشياء للجمال والاستغلال.

* يخترع الفرد، ويبنى، ويستخدم خياله الخلاق فى إدراك الأفكار وإدخالها فى مختلف الأشكال المادية.

٥- اللعب:

* يشترك الفرد فى عالم قد شكله خياله الحر.

* اللعب جزء حيوى من العملية التربوية.

* النشاط الترويحى عامل ضرورى فى تنمية الحرية والخيال والنظرة المتسقة.

٦- المسئولية الأخلاقية:

* إتاحة الفرص الكثيرة أمام الطفل لتحمل مسئولية ما يصل إليه من قرارات.

* تعتمد كفاءة الطفل على الاحتفاظ بالاتزان السليم بين الحرية والسلطة.

(ب) مطالب المجتمع الواقعى:

ويتضمن هذا العامل العوامل الفرعية التالية:

١- اللغة والجغرافيا والتاريخ:

- تدريس اللغة التى تستعمل فعلاً.

- يوجه الانتباه إلى مظاهر الدولة التى يعيش فيها التلميذ، وذلك أثناء تدريس الجغرافيا.

- تأكيد تلك الأحداث التاريخية التى تمت بصلة كبيرة إلى صنع الحضارة التى يشترك فيها التلميذ.

٢- العادات والتقاليد:

التدريب على: أساليب الزى، عادات الأكل، الذوق العام، أنماط العلاقة بين الجنسين، وسائل الترويح التى يتعامل بها الناس، سواء أكان ذلك يتحقق بطريقة ضمنية أم عن طريق برامج دراسية منظمة.

٣- المهن:

- فى المجتمعات الصناعية: تقدم برامج إضافية كاملة فى الرياضية والعلوم الأساسية.

- فى المجتمع الذى يسيطر عليه الدين: توجيه أعظم إلى تعليم المعتقدات والواجبات الدينية.

- فى حالة المجتمعات التى تخوض حروبًا، يتضمن تعليم الصغار التعليم العسكرى.

ويتوقف تأكيد الدراسات الموجودة فى المنهج إلى حد كبير على مدى تصميم المطالب الاجتماعية، وعلى مدى أهمية القدرات بالنسبة لصحة المجتمع وأمنه.

٤- القيم المشتركة:

وتتمثل فى: الحرية، المساواة، كرامة الفرد، العمل، التعاون.

(جـ) الحاجات الاجتماعية المثلى:

أن يتضمن المنهج عناصر استجابة لمطالب المثل الأعلى الاجتماعى. لذا، يجب أن تصمم برامج الدراسة لإعداد التلميذ للإسهام فى المجتمع، كما يجب أن يكون ، لإعداده للتكيف مع العالم كما هو موجود بالفعل. ويجب أن يكون النظام الاجتماعى الذى نجهز التلميذ له من الممكن تحقيقه.

ويتضمن هذا العامل العوامل الفرعية التالية:

١- الارتفاع بثقافة التلميذ:

ويمكن تحقيق ذلك عن طريق:

- السيطرة على لغات أخرى.

- تفيد دراسة الثقافات الأخرى فى التكيف مع الظروف الموجودة.

- فى المجتمع العنصرى، تسمو مظاهر الإخلاص للقومية والعنصرية.

- فى المجتمع المثالى، تقدر أنماط السلوك لذاتها، لا لفائدتها العلمية التى تقدمها فى الوقت الحاضر.

٢- الاتساق الاجتماعي:

- يقوم المنهج على أساس تحقيق مثالية الاتساق الاجتماعى الشامل، لا الجمود داخل جماعة خاصة فى المجتمع.

- أن يتضمن مقرر الوحدة الوطنية المشكلات ذات وجهات النظر المختلفة.

- إقامة مجتمع تعاونى وإعطاء وزن أكبر للمساعدة المشتركة بين الأفراد.

٣- الاتزان المهنى:

- يهتم المنهج اهتماماً كبيراً بحاجات المجتمع الأفضل الذى سيتكون فى المستقبل، بجانب اهتمامه بالمطالب المباشرة للأفراد.

- تشجيع التلاميذ على إعداد أنفسهم لتلك المهن، التى تحتاج إلى عدد أكبر من المتخصصين.

- إذا كانت المدرسة خادماً للمجتمع وأداة له، فإن منهجها سيعكس مطالب المجتمع الواقعى.

- إذا كانت المدرسة قائدة المجتمع العاملة على تشكيله، فإن منهجها سيتشكل فى ضوء المثل العليا الاجتماعية القابلة للتطبيق والتى لم تتحقق بعد.

(د) مطالب الفرد الواقعي:

يجب إعطاء صفات الفرد وقدراته الشخصية ما تستحق من وزن، إلى جانب تلك القيم التى تقيس صالح المجتمع فى جملته.

ويتضمن هذا العامل العوامل الفرعية التالية:

١- التفرد:

- المنهج الذى يتجه إلى تنمية الأفراد يختلف عن المنهج الذى يخطط لتخريج طبقات معينة من الأفراد، يتم إعدادهم لممارسة وظائف خاصة داخل المجتمع.

- المنهج فى مثله الأعلى هو نظام المربى الخاص لا نظام الفصل، على الرغم من أن مناشط الجماعة التى تخطط على أساس الحاجات الفردية يمكن أن تكون جزءاً من برنامج الدراسة.

٢- التلاميذ غير العاديين:

التلاميذ الذين يتميزون بقدرات غير عادية (مثل: الأذكياء والعباقرة)، أو الذين يتيمزون بعجز ملحوظ فى قدراتهم (مثل: المتخلفين دراسياً أو بطىء التعلم).

٣- الاختبار:

- تقويم ميول التلاميذ وقدراتهم باختبارات سيكولوجية مناسبة.

- توجيه التلاميذ نحو برامج الدراسة التى تناسبهم أحسن مناسبة عن طريق عملية الإرشاد.

(هـ) حاجات الفرد المثالية:

ويتضمن هذا العامل العوامل الفرعية التالية:

١- عقلى:

يصمم المنهج لتوليد ميول عقلية، ثم يعمل على إشباعها.

٢- أخلاقى:

يجب أن يخلق البرنامج التعليمى الرغبة لتحقيق الخير، مهما تكن رغبة التلميذ أو عدم رغبته فى فعل الخير، ذلك لأن القانون الأخلاقى يفرض مطالبه على الموقف.

٣- جمالى:

على المنهج أن يهيئ الفرص عن طريق برامج الفن، وربما بوسائل أخرى عرضية غير شكلية، وذلك لتعويد الطفل الأشياء الجميلة.

٤- دينى:

العقيدة الدينية ليست مجرد امتداد لميل مباشر، ولكنها نتيجة تعليم عن المثل الأعلى، الذى يتخذ جذوره عند أولئك الذين لديهم نضج معنوى.

(و) مطالب التراث الثقافي:

ويمكن أن يتحقق هذا البعد من خلال مراعاة ما يلى:

- بعض الأشياء تحفظ التراث الثقافى وتزيد فيه.

- الرجل الأكاديمى هو الذى يتفرغ للعناية بالمخزون من المعرفة وتحسينه، بصرف النظر عما يكون - أو لا يكون- لهذا المخزون من منفعة فردية أو اجتماعية.

- تصميم برامج معينة للتعبير عن غرض استمرار التراث الثقافى. ويمكن تبرير هذه الدراسات على أساس الحاجات الاجتماعية والفردية.

اعتبارات مهمة:

قدمنا فيما سبق، الأبعاد التى يجب مراعاتها فى تحديد محتوى المنهج، وحتى تحقق هذه الأبعاد أهدافها المرجوة، ينبغى مراعاة الآتى:

* يجب تحقيق بيئة تعلم آمنة للأطفال غير العاديين، سواء أكانوا من العباقرة أم من بطيئى التعلم، وخاصة هؤلاء الذين يعانون من عجز جسمى: جزئى أو كلى.

* يجب أن تكون للأنشطة المنهجية واللامنهجية، مكان مميز على خريطة المنهج، لما لهذه الأنشطة من دور فعال بالنسبة للتلميذ؛ إذ تساعده فى البحث عن الحقيقة المعرفية، لما يراه ضرورياً بالنسبة له. أيضاً، تسهم بعض الأنشطة، ذات الطابع الثقافى أو الرياضى فى توسيع مدركات التلميذ العقلية، وفى الترويح عن نفسه.

* نحن نعيش فى عصر العولمة، حيث يكون للرمز دلالة، قد تفوق فى معناها، دلالة اللفظ نفسه. فالعالم الآن يتعامل من خلال رموز وأرقام، عبر الكمبيوتر وشبكات إنترنت. لذا، يجب استخدام الرموز بطريقة تكسب التلميذ القدرة على استخدام الأفكار أو المفاهيم، التى تتضمن إحساساً بالمعنى.

* يجب أن تتيح موضوعات المنهج الفرص المناسبة لنماء قدرة التلميذ على التجريد، وخاصة أن هذه القدرة بمثابة مقياس لنضج وقدرة واستقلال الذكاء الإنسانى. ودون التجريد يبقى العقل مقيداً بالإدراك الفردى.

* فى ظل ثورة الاتصالات، والتدفق المعلوماتى عبر المعانى، يمكن أن تتداخل الأمور بطريقة غير صحيحة، بحيث تفسر المعانى بطريقة خاطئة، حسب هوى وميل المتلقى للرسالة. لذا يجب من خلال مهارات التواصل، تركيز الانتباه تماماً على الصفات الشكلية والعلاقات الشكلية، بشرط أن يتحقق ذلك من خلال فهم ودلالة ما تعنيه تلك الصفات والعلاقات.

* لكى يواكب الإنسان متطلبات عصر العولمة، عليه أن يكون متحدثاً مفكراً وناقداً محللاً. بالطبع، لا يمكن تحقيق ذلك الهدف السامى النبيل، الذى يعكس مدى الاهتمام بإنسانية الإنسان، عن طريق الأساليب التدريسية، التى تقوم على أساس

التلقين. لذا، يجب الاهتمام بأساليب تدريس، تعمل على تفتح قابليات وملكات المتعلم الخلاقة، وتنمى قدراته الإبداعية فى حل المشكلات.

* من منطلق أن اللعب هو ألذ شىء فى الوجود، وخاصة بالنسبة للطفل، فإنه يمثل جزءاً حيوياً من العملية التربوية. لذا، يجب الاهتمام بممارسة التلميذ لأساليب اللعب الموجه، التى يمكن عن طريقها تنمية الحرية والخيال والنظرة المتسقة عند التلميذ.

* لا تسهم القراءة وحدها فى اكتساب الفرد للمسئولية الأخلاقية. فالأخلاق، سلوك وممارسة. ويكتسب الفرد قيمه ومبادئه، منذ اللحظة الأولى من ولادته. لذا، يجب أن تؤكد المناهج أهمية وقيمة المسئولية الأخلاقية، عند المتعلمين، من خلال تحقيق الأمور المهمة التالية:

- إتاحة الفرص المناسبة ليصل التلميذ إلى قرارات بعينها، فى بعض الأمور والمسائل.

- عندما يصل التلميذ إلى تلك القرارات، فيجب إتاحة الفرص أمامه بتحمل مسئولية تنفيذها.

- حتى وإن كانت المدرسة يتم إدارتها، وفق نظام مدرسى مركزى، فيجب إعطاء مساحة من الحرية للتلميذ، للتعبير عن ذاته، وتحمل مسئولية قراراته.

- إذا اعتمدت كفاءة التلميذ على تحقيقه للاتزان السليم بين الحرية والسلطة، فيجب منحه مساحة عريضة من الحرية، حتى لا يضطر إلى اغتصابها، أو ممارستها بطريقة خفية، أو بطريقة فوضوية.

* عندما تكون المدرسة غير مسئولة، وعندما يكون المعلم غير ملتزم أخلاقياً، أمام التلاميذ، تنحدر القيم فى المدرسة، وتظهر تأثير الجماعات الفوضوية والهمجية والإجرامية على التلاميذ. لذا، يجب أن تتيح المناهج الفرص المناسبة، التى من خلالها يكتسب التلميذ مقومات السلوك السوي.

* يجب أن تؤكد المناهج العوامل الجغرافية والأحداث التاريخية، التى أسهمت فى صنع الحضارة. وبذا، يتعرف التلميذ أبعاد حضارة المجتمع الذى يعيش فيه، ويدرك المبررات التى ساقتها بعض الدول بالنسبة لقضية صدام الحضارات.

* يجب أن يدرك من يتحمل مسئولية إعداد المناهج وتحديد موضوعاتها، أن العادات والتقاليد المتمثلة في: أساليب الزى، وعادات الأكل، والذوق العام، وأنماط العلاقة بين الجنسين، ووسائل الترويح عن النفس، ليست مجرد أنماط من الممارسات والسلوك التى يتم اكتسابها من خلال التعامل اليومى والاحتكاك المباشر بين الأفراد، وإنما هى موضوعات، ينبغى تخصيص مقررات قائمة بذاتها لدراستها، لأن ما يكتسبه الفرد، دون دراسة واعية، يقع تحت طائلة المحاولة الخطأ، ويتيح الفرص للاجتهادات والتفسيرات غير الدقيقة، وخاصة ما يرتبط بالأمور القيمية.

* لقد تجاوزت بعض الدول مرحلة ما بعد التصنيع، ومازالت بعض الدول الأخرى -ومنها مصر- تعيش مرحلة التصنيع. لذا، يجب أن تلقى المناهج الضوء على المهن والصناعات التى تسود المجتمع، والتى تقوم على المجالين: الصناعى والزراعى. وفيما يختص بالمجال الصناعى، يجب أن تهتم المناهج بصناعة البرمجيات؛ لأنها تمثل الأساس الحقيقى للتعامل مع الحاضر والمستقبل على السواء.

* يجب أن تهتم المناهج بالقيم المشتركة، التى تربط جميع الناس، بوشائج نسب قوية، متينة الأساس، وذلك مثل: الحرية، والمساواة، وكرامة الفرد، والعمل، والتعاون، مقاومة التطرف والإرهاب...إلخ. أيضاً يجب أن تبرز المناهج أن القيم السابقة، مهمة للإنسان، فى كل زمان ومكان، ليشعر بآدميته وقيمته كإنسان.

* يجب أن يمثل المنهج الطريق الذى إذا مشى عليه التلميذ بجد واجتهاد، يستطيع تحقيق حاجاته الاجتماعية المثلى. فعلى سبيل المثال، يمكن أن يسهم المنهج فى نماء ثقافة التلميذ، من خلال الاهتمام بتدريس لغات أجنبية، تساعده على التواصل فكرياً مع الآخر، خارج حدود مجتمعه. أيضاً، يمكن للمنهج تأكيد الثقافة القومية، من خلال دراسة ثقافات أخرى، حيث تظهر الفروق واضحة جلية فى بعض المجالات، لصالح الثقافة القومية.

* يجب أن يقوم المنهج على أساس تحقيق مثالية الإنسان الاجتماعى الشامل، لا الجمود والتقوقع داخل جماعات خاصة فى المجتمع، وخاصة أن بعض هذه

الجماعات تغرى الشباب بشعارات براقة، من أجل تحقيق أمور تحتية. أيضاً، فإن تحقيق الإتساق الاجتماعى، يبرز أهمية إقامة مجتمع تعاونى، كما يوضح ضرورة المساعدة المشتركة بين الأفراد.

* يجب أن يهتم المنهج بالحاجات المجتمعية الفضلى، من منظور مستقبلى، دون إهمال للمطالب المباشرة، إذ من غير المعقول إهمال الحاضر على حساب المستقبل، الذى لم يظهر له وجود حقيقى بعد.

* يجب أن يهتم المنهج بمطالب الفرد الواقعية، عن طريق تحقيق تفرد التعلم، بإتاحة الفرص المناسبة، ليتعلم كل تلميذ، تبعاً لإمكاناته العقلية وقدراته الجسمية. وأن يتم اختبار التلميذ، فيما تعلمه باختياره الحر، باستخدام الاختبارات التحصيلية المقننة، وباستخدام الاختبارات النفسية المناسبة لتقويم ميول التلميذ وقدراته.

* يجب أن يؤكد المنهج حاجات الفرد المثالية، والتى تتمثل فى حاجات التلميذ العقلية والأخلاقية والجمالية والدينية.

***

خاتمة:

تؤكد هذه القضية أهمية تحديد محتوى المنهج التربوى تحديداً دقيقاً، بشرط أن يتضمن الموضوعات التى يحتاج إليها التلميذ فى حياته الحالية، وبشرط أن يدرك التلميذ الأساسيات التى يتعامل معها فى المستقبل. وعليه، ينبغى أن يكون المنهج همزة الوصل بين الحاضر والمستقبل، وبذا يتعرف التلميذ ظروف الحاضر وملابساته، وأن يدرك -آنياً- أبعاد المستقبل، وما قد يحمله للتلميذ من مفاجآت سارة أو مفجعة، فيكون مستعداً لمقابلتها، ولا تمثل له صدمة، إذا كانت مؤلمة. لذلك، عند تحديد الموضوعات التى يتضمنها كل مقرر، يجب ألا يتم تحديد متطلبات كل مادة بمعزل عن بقية المواد الأخرى، وإنما يجب تحقيق هذا الأمر عن طريق تعاون فريق عمل، من كافة التخصصات.

المراجـــع

١- محمد سعيد طيب، «لـنفتح النوافذ والأبواب»، **مجلة المعرفة** (السعودية)، الـعدد ٧٣، يوليو ٢٠٠١، ص٣٧.

٢- أحمد شوقي، **العلم.. ثقافة المستقبل** ، القاهرة: الهيئة المصـرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص ص ١٠٨ ـ ١١٤.

٣- أحمد مـستجير، «بذور شـيطانية.. عنـدما تضل الهنـدسة الوراثية السـبيل»، **مجلة الهلال**، نوفمبر ٢٠٠٠، ص١٢٧.

٤- جلال أمين، «الـدولة والتنـمية.. من عصـر القوميـة إلى عصر الـعولمة»، **مجلة الهلال**، مايو ٢٠٠١، ص٣١.

٥- - ميتشيو كاكو، **رؤى مستقبلية.. كيف سيغير العلم حياتنا فى القرن الواحد والعشرين**، سلسلة عالم المعرفة (الكويت)، العدد ٢٧٠، يونيو ٢٠٠١، ص٣١.

٦- محمود مرتضى، «الغضب ضد مساوئ العولمة»، **مجلة الهلال**، مايو ٢٠٠١، ص١٢٣.

٧- وديع أمين، «ربط التعليم بخطة التنمية»، **جريدة الأهرام** فى ١٢/ ٩/ ١٩٨٨.

٨- فيليـب هـ .فينكس، ترجمـة محمد لبيب النـجيحي، **فلسفة التربية**، القاهرة: دار الـنهضة العربية، ١٩٦٥، ص١٠٥.

٩- لويس عوض، «ملاحظات على التعليم المصرى»، **جريدة الأهرام**، فى ٢٦/ ٩/ ١٩٨٧.

١٠- عبدالله محمد إبراهيم، «الفـجوة بين مضمون العلـم، وطرق تدريسه فى بحوث الـتربية العلمية»، **مجلة العلوم الحديثة**، السنة الثالثة عشر: العدد الثاني، يولية ١٩٨٠، ص٧٥.

١١- لي. اس. شولمان، ترجمة على حسين حجاج، «المـعرفة، والتعليم: أسس الاصلاح التربوى الجديد»، **مجلة الثقافة العالمية**، السنة السابعة: العدد ٤٠، مايو ١٩٨٨، ص٥٤.

١٢- ترجمة وعرض يوسف عبدالمعطى، «أمة معرضة للخطر»، **مجلة رسالة الخليج العربي**، العدد الثانى عشر، ١٩٨٤، ص١٩.

١٣- هنرى ج. بيركنسون، ترجمة عبدالراضى إبراهيم محمد عبدالرحمن، **تعليم بغير أهداف... معلمون لا تقيدهم أهداف، وطلاب لا تحدهم غايات**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١، فى مقدمة الكتاب ص (جـ).

١٤- أحمد فـتحى سرور، «الكـفاح ضد التـخلف وضد اغتـراب المجتمع... التـعليم الـقومى والمتطور مسئولية جماعية»، **جريدة الأهرام**، فى ٦/ ٣/ ١٩٨٧.

١٥- فيليب هـ. فينكس، **مرجع سابق**، ص ص ١٠٢-١٢٩.